آداب السلوك عند المصريين القدماء

أ/ مايكل يوسف سلوانس

*** مقدمة :**

لقد برع المصريين القدماء في علوم كثيرة جدا ، من بينها الشعر والحكمة والأدب .....

وفي كتابنا هذا سوف نتناول جزءا من جوانب السلوك عند قدماء المصرين . فهناك النصيحة التي يوجهها آباء مثقفون .... ومعلمون من الكهان والمتدينين . مما يعني أن الحكمة لم تكن وقفا علي طبقة معينة من الناس . وقد تقابلت أهدافهم في ثلاث نواح .... وهي أن أغلبهم نسب نصائحه إلي خبرته الشخصية وتجارب أجداده بالأكثر مما كان ينسبها إلي وحي السماء . فهناك بتاح حتب الذي كان وزيرا من القرن الخامس والعشرين ق.م ومن أقدم أصحاب التعاليم .

وفي سياق حديثه صور لولده سبيل الإستقرار في الأسرة قائلا له " إذا أصبحت كفئا كون أسرتك . وأحبب زوجتك .حدود العرف أو عاملها بما تستحق أشبع جوفها . وأستر ظهرها وعطر بسرتها بالدهن العطر فالدهن ترياق لبنها وأسعدها ما حييت . فالمرأة حقل نافع لولي أمرها .... ولا تتهمها عن سوء ظن . وأمتدحها تخبت شرها .... فإن تفرت راقبها وأستمل قلبها بعطاياك تستقر في دارك . وسوف يكيدها أن تعاشرها ضرة في دارها " .

وإياك أن تبتر ساعة المتعة .... فالنفس تأبي أن يفسد وقت متعتها . دع سمعتك تزكو وفمك صامت . بعد ذلك أراد الحكيم آني من أهل القرن ١٦ق.م أن يرشد ولده إلي مقومات السعادة في الأسرة . فقال له : " يستطيع كل إنسان أن يوفر الإستقرار في داره إذا تحكم سريعا في نزعات نفسه . ولكن أحذر أن تمشي في طاعة أنثي .... أو تسمح لها بأن تسيطر علي رأيك " . وقال وهو يوصي ولده بصراحة الحديث . تخير حسن الحديث وتكلم صوابا . وأحتفظ بسيئه في جوفك .

وكان من طريف تأديبه له بآداب الدعاء . قوله .....

" أدع بقلب محب .... ولا تجهر بصوتك يستجب الإله لدعائك ويسمع ما تقول ويتقبل قربانك " .

يأتي بعد ذلك الشيخ أمنموبي : الموظف الأديب المتدين . في فترة ما من القرن العاشر أو التاسع قبل الميلاد .

فقال لولده " كن رصينا في تفكيرك وثبت فؤادك ولا تتعود علي أن تجد فبلسانك .... ولا تفصلن فؤادك عن لسانك تصبح مشروعاتك كلها ناجحة . وثمة شيء آخر محبب إلي الرب وهو الصلاة قبل الكلام .ولا تقض الليل متخوفا من الغد . قائلا عندما يطلع النهار كيف يكون الغد؟ فما يعلم إنسان

ما سيكون عليه الغد ، والإله دائما في تدبيره والإنسان دائما في خيبة ظنونه .
وقد دعا المتدين أمنموبي أبنه إلي احترام كبار السن وعلل ذلك بتعليل لطيف قال فيه : " لا تسب من يكبرك سنا .... فإنه قد شاهد نور الإله ".
كن ثابتا أمام غيرك من الناس . فالإنسان في مأمن في يد الرب . والرب يمقت من يزور في الكلام . فالرب يحب إسعاد الفير أكثر مما يحب تعظيم النبيل . وقال أيضا : " أياما كانت خبرتك بالكتب .... وكنت متعمقا في التعاليم... فعليك أن تحترم الغير حتي تحترم..... وأحب الناس يحبك الناس ولا تبالغ في أحاديثك .
ومن طريف تعبيراته ما يقول فيه : " لا تلف كثيرا حتي لا تتوقف " . ولا توقد نارا لا تستطيع أخمادها. ولا تجعل لنفسك صوتين . وأسمح لمن عمل ما كلف به بأن يرفع صوته . ولا تكره إنسانا لمجرد رؤيته مادمت لا تعرف حقيقة خلقه . ولا تكره من يقول لك أنا أخوك . وأعلم أن العزلة خير من أخ شرير . ومن تعبيراته في الزيجات " نعمة الممتلكات زوجة حكيمة ... تخير زوجا عاقلا لأبنتك ولا تتخير لها زوجا ثريا .
وفي أدب الحديث يقول : " آية الحكيم فمه . وإنما يتأتي التعليم بعد رقي الخلق . ولا تقل إني عالم وتفرغ للعلم . رفيق الغبي غبي . ورفيق الممتاز ممتاز . لا تشاور عالما في أمر تافه ، ولا تشاور جاهلا في أمر جلل . الموت خير من الحاجة .
لقد صورت المتون المصرية وآدابها جانبا من سلوك المعاملة بين الأب وأبنائه .وفي هذا المنوال يوصي الأب والده علي الجدية والحزم . فيقول له " طوبي لمن كان جادا أزاء أمه .... فهو جدير بأن يصبح جميع الناس له تبعا " . ثم يقول له : " لا تقل يا ولد لمن نضج . ولا تتجاهل من جانبك من كبر .

* فن الحديث والسلوك التهذيبي :

وعلي هذا أقول ... قارب المصريون كثيرا بين السلوك التهذيبي وبين الأدب . بحيث كان الحكيم لديهم . هو من يحسن الإرشاد ويجيد فن الأسلوب والكلام في آن واحد .
وفي كراسات تلاميذ عصر الرعامسة تتضمن هذه التعاليم " إياك أن تحرك فمك لتقسم " . لا تقترف الدم . وأحرص علي ان تظل هادئا كالحارس . وكافيء الصانع يخدمك .
إذا أثريت وأتتك المقدرة فتعهد ربك ولا تكن جهولا أزاء قوم تعرفهم بل أحترم كل إنسان وكن معينا للعاجز فلقد قيل طوبي لمن لا يتصنع الجهل

ويقول بتاح حتب :
لا تقس قلبك حين القسمة . ولا تبتغ ما ل يخصك . ولا توغر قلبك إزاء أقاربك . فإن التماس الوديع أجدي من تصرف العنيف . إذا أحببت أن يجمل سلوكك ... وان تبريء نفسك من كل سوء . فأتق لحظة حجود القلب. فإنه داء وبيل مستعص .

*** التدين والتقوي :**

كان لأثر الدين سلطانا كبير علي عقول الفراعنة . فكانوا يرفعون شعار عمل الخير والإحسان ومد يد المعونة لغير القادر .
إذ أعتقدوا أن الإنسان لا يمكنه الوصول إلي جنات الخلد والنعيم الدائم في السماء إلا إذا أظهر أثناء الحساب عند وزن القلب ، أن روحه طاهرة نقية ، وأنه لم يأت شرا ولا أثما ، ولم يسبب في حياته ضررا أو قسوة لأحد من الناس ، وأن صفحة أيام حياته علي الدنيا كانت ناصعة البياض خالية من الآثام والسيئات ، وأنه لم يعتد علي أحد ولم يتدخل في شئون الغير .
ويقول بتاح حتب :" لأنه ما من أحد يستطيع الوصول إلي آخر حدود الفن ولا يوجد الفنان الذي يبلغ الكمال في إجادته.أن الحديث الممتع أشد ندرة من الحجر الأخضر اللون ومع ذلك فقد تجده لدي الطبقات الوضعيه " .

*** طاعة الوالدين فيقول :**

ما أجمل أن يصغي الأبن عندما يتكلم أبوه فسيطول عمره من جراء ذلك ، أن من يسمع يظل محبوبا من الله ، ولكن الذي لا يسمع مكروه من الآلهة والقلبهو الذي يرشد صاحبه فيجعل منه شخصا يسمع أو شخصا لا يسمع . فقلب الإنسان هو حياته وسعادته وصحته ما أجمل أن يستمع الأبن إلي أبيه .ويخاطب الملك "خيتي" ابنه مسديا إليه النصيحة : " لا تجعل عقيدتك في طول الحياة الدنيا . ولا تغتربها ، فأن وقت الحياة الدنيا قصير كساعة واحدة علي الأرض ، ولا يبقي للإنسان في آخرته إلا عمله فهو كالكنز الثمين . وحب الناس ، وواس الحزين ، وأرع الأرملة ، وإذا عاقبت ، فراغ العدل .... لا تقتل ، ولا تظلم الناس فإنهم عبيد الله يستمع لبكائهم .
" خير للإنسان أن يبقي سره في بطنه " . لا تجعل الطمع رائدك في جمع الثروة ." خير للإنسان أن يعيش علي خبز وماء مع راحة الضمير من أن يعيش علي لحوم وهو منغص البال " .

*** القناعة والتوجه إلي الله :**

" لا تكثر من الكلام وألزم الصمت فتسعد ولا تكن ممن يحبون الخوض في الحديث عن الناس أن شر ما يحدث في بيت الله هو أحداث الضجة فصل بقلب يملؤه الحب ولا ترفع صوتك بكلماتك وسيجيب الله سؤالك ، ويتقبل قربانك ".

*** تعليم بتاح حتب :**

لا تكون متكبرا بسبب معرفتك ولا تثقن بأنك رجل عالم ، فشاور الجاهل والعاقل لأن نهاية العلم لا يمكن الوصول إليها ، وليس هناك عالم يسيطر علي فنه تماما . وأن الكلام لحسن أنصع من الحجر الأخضر الكريم ومع ذلك فإنك تجده مع الأماء اللائي علي أحجار الطواحين .

*** خصص لنفسك وقتا لترويح نفسك :**

" أتبع روحك مادمت حيا ، ولا تفعلن أكثر مما قيل لك . ولا تنقص من الوقت الذي تتبع فيه قلبك لأنه مكروه عند النفس إذا انتقص وقتها العناية الزائفة بمنزلك .

*** آداب السلوك في الضيافة :**

إذا اتفق انك كنت من بين الجالسين علي مائدة من هو أكبر منك مقاما فخذ ما يقدم لك حينما يوضع أمامك ولا تنظرن إلي ما هو موضوع أمامه بل أنظر إلي ماهو موضوع أمامك . ولا تصوبننظرات كثيرة إليه لأن ذلك مما تشمئز منه النفس إذا أحفظها الإنسان ، وأنظر بمحياك إلي أسفل إلي أن يحيك وتكلم فقط بعد أن يرحب بك وأضحك حينما يضحك فإن ذلك يدخل السرور علي قلبه وماتفعله يكون مقبولا لأن الإنسان لا يعلم ما في القلب .

*** معاملة أصحاب المظالم :**

إذا كنت ممن يقدم لهم الشكاوي . فكن شفيقا حينما تسمع كلام المتظلم ، ولا تسوء معاملته إلي أن يغسل بطنه . وإلي أن يقول ما قد جاء من أجله ، وأن المتظلم يحب كثيرا أن يهز الإنسان رأسه إلي كلامه إلي أن ينتهي مما جاء من أجله .....

وأن مجلسا حسنا يسر القلب .

ولكن من يمثل القسوة نحو المتظلم ، فإن الناس يقولون " لأي سبب يفعل هو كذلك ؟

*** التحذير من النساء :**

إذا أردت أن تحافظ علي الصداقة في بيت تدخله سيدا أو أخا أو صاحبا ، فأحذر القرب من النساء ، فإن المكان الذي هن فيه ليس بالحسن .

ومن أجل هذا يذهب ألف إلي الهلاك : فإن الرجال يصيرون مجانين بأعضائهن المبهرجة وبعد ذلك تصير مثل شيئا تافها مثل الحلم ، والموت يأتي في النهاية .

*** التحذير من الشراهة :**

إذا أردت أن يكون خلقك محمودا وأن تحرر نفسك مما هو قبيح ، فأحذر الشراهة فإنها مرض مملوء بالداء ولا يشفي . والصداقة معها مستحيلة ، فإنها تجعل الصديق العذب مرا ، وتقصي ذا الثقة عن سيده وتجعل كلا من الأب والأم قبيحا وكذلك الأخوال ، وتفصل الزوج عن زوجته . وهي حزمة من كل أنواع الشر وحقيبة مملوءة من كل شيء مرذول . وأن الرجل الذي يتبع طريقه حقه في سلوكه ويسير علي الصراط السوي ، يعيش طويلا ويكسب الغني بذلك ، ولكن الشره لا قبر له . لا تكون شرها في القسمة . ولا تكون ملحا الا في حقك ، ولا تطمعن في مال أقاربك ، فإن التماس التواضع يجدي أكثر من القوة .... فإن القليل الذي أختلس منه يولد العداوة حتي عند صاحب الطبع اللين .

*** لا تثقن بالحظ :**

إذا أصبحت عظيما بعد أن كنت صغير القدرة وصرت صاحب ثروة بعد أن كنت محتاجا في المدينة التي تعرفها " موطنك القديم " فلا تنسي كيف كانت حالتك في الزمن الماضي . لا تثقن بثروتك التي أتت إليك منحة من الله ، فإنك لست بأحسن من غيرها من أقرانك الذين حدث لهم ذلك الفقر . والإنسان يعيش ما دام متساهلا .

كذلك أهتم المصري القديم بالدولة التي حفظت لنا تلك الأشياء عرفت انها مأخوذة من بيت الملك الحكيم من علي قبره :

" ما أسعد هذا الأمير الطيب ، والمقدر الجميل قد وقع ، تذهب أجسام وتبقي أخري ..... منذ عهد الذين كانوا من قبلنا . والملوك الذين وجدوا في الزمن الغابر راقدون في أهرامهم . والأشراف قد دفنوا في أهراماتهم كذلك والذين بنوا بيوتا قد أصبحت مساكنهم كأن لم تكن فماذا جري لهم ؟ .

لقد سمعت أحاديث " أمحوتب" الذي يتحدث بكلماته في كل مكان ما مسكنه الآن ؟ جدرانها دمرت ومسكنه لا وجود لها كأن لم تكن قط . ولم يأت أحد من هناك ليحدثنا كيف حال من قبلنا ويخبرنا عما يحتاجون إليه لتطمئن قلوبنا قبل أن نذهب نحن كذلك إلي المكان الذي ذهبوا إليه .... وليس في قدرة إنسان تدولي أن يعود ثانية

* الله وبنو الإنسان :

" أن الفرد الذي يحمل فضيلة الحق في قلبه أحب إلي الله من نور الظالم ، أعمل شيئا لله حتي يعمل لك بالمثل أن الله عليم بمن يعمل له شيئا . أن الله قد عني عناية حسن برعيته فقد خلق السموات والأرض ..... طبق رغبتهم وخفف الظمأ بالماء ..... وخلق لهم الهواء حتي تحيا به أنوفهم ..... وهم صورة التي خرجت من أعضائه ، وهو يرتفع إلي السماء ، وخلق النبات والماشية والطيور والأسماك غذاء لهم وهو كذلك يعاقب فذبح اعداءه بسبب ما دبروه حينما عصوا أمره ويضع النور حسب رغبتهم كذلك يجعلهم ينامون ويسمع عندما يبكون وجعل لهم منفذا من الفرج .

* أمنموبي يحمل رسالة خاصة للعالم :

الواقع أمنموبي المصري كانت له رسالة يحملها إلي العالم إذا انه ترك أسلوب النصائح العادية ، فأول ما يلفت النظر في تعاليمه إلي شيئان هما : تدين هذا المؤلف الشاعر ، الذي تعتبر تعاليمه من أمتع الكتب وأعظمها قيمة فكان ينادي بأن الصلاح فضيلة وأن التفكير في الموت والأبدية كان حافزا يدفع الإنسان إلي أن يسلك الطريق السوي في الحياة الدنيا مخافة الله إذ أن الله هو الذي يسعد ويغني . إن فكرة وجود الله هي المستوي الذي وضعه أمامه لفهم الحياة .

- **الحزم في المناقشة:**

لا تشتبكن في جدال مع أحمق ،ولا تخزنه بالألفاظ ، تأن أمام متطفل ، وأعرض عمن يهاجم ، والرجل الأحمق في ساعة غضبه ، يجب أن تنسحب من أمامه وأتركه لمكايده أو سامحه فيها . والله يعلم كيف يجيبه ويجزيه .

* الرجل الأحمق والرجل الحليم :

الرجل الأحمق الذي لا يخدم الناس فمثله كشجرة نبتت في الغابة ففي لحظة تفقد خضرتها ويكون مصيرها النار كفنها .

أما الرجل الحليم حقا فهو يضع نفسه جانبا حيث يجب فمثله كشجرة باسقة في الحديقة . تنمو يافعة وتضاعف ثمرتها . فتقف امام سيدها وثمرتها حلوة وظلها ظليل وينتهي مصيرها في الحديقة .

* لا تقل الشر :

ضع طيبتك في جوف الناس وفي أعماق نفوسهم حتي يحيك كل إنسان لأن الإنسان يرحب بالخير . أحفظ لسانك سليما من الألفاظ الشائنة .

وبذلك تصبح المفضل عند الآخرين وستجد مكانك بين الناس .

*** فن الكلام :**

أحفظ لسانك سليما من مجاوبة رئيسك وأحذر أن تذمه ، فإن الكلام يكون سريعا عندما يؤذي القلب فالإنسان يبني ويهدم بلسانه .

*** فن التعامل مع الإله :**

إن الله يحب سعادة المتواضع ،وهناك شيء آخر محبب إلي قلب الله هو التأني قبل الكلام .

الفهرس

مقدمة ٢
فن الحديث والسلوك التهذيبي ٣
التدين والتقوي ٤
طاعة الوالدين فيقول ٤
القناعة والتوجه إلي الله ٥
تعليم بتاح حتب ٥
خصص لنفسك وقتا لترويح نفسك ٥
آداب السلوك في الضيافة ٥
معاملة أصحاب المظالم ٥
التحذير من النساء ٥
التحذير من الشراهة ٦
لا تثقن بالحظ ٦
الله وبنو الإنسان ٧
أمنموبي يحمل رسالة خاصة للعالم ٧
الرجل الأحمق والرجل الحليم ٧
لا تقل الشر ٧
فن الكلام ٨
فن التعامل مع الإله ٨